

تفسير البحر المحيط

@ 349 @ لدلالة { مَّعْطَا لَّةٍ } عليه انتهى . .

{ وَبِئْرٍ } { وَقَصْرٍ } معطوفان على { مِّنْ قَرْيَةٍ } { وَامِنْ * قَرْيَةٍ } تميز
لكأين ، { وَكَأَيِّنْ } تقتضي التكرير ، فدل ذلك على أنه لا يراد بقربه وبئر وقصر معين ،
وإن كان الإهلاك إنما يقع في معين لكن من حيث الوقوع لا من حيث دلالة اللفظ ، وينبغي أن
يكون { * بئر } { مَّعْطَا لَّةٍ } { وَقَصْرٍ } من حيث عطفاً على { مِّنْ قَرْيَةٍ } أن يكون
التقدير أهلكتهما كما كان أهلكتها مخبراً به عن { * كأين } الذي هو القرية من حيث
المعنى . والمراد أهل القرية والبئر والقصر ، وجعل { عُرُوشَهَا وَبِئْرٍ مَّعْطَا لَّةٍ }
{ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ } معطوفين على { عُرُوشَهَا } جهل بالفصاحة ووصف القصر بمشيد ولم
يوصف بمشيد كما في قوله في { بُرُوجٍ مَّشِيدَةٍ } لأن ذلك جمع ناسب التكرير فيه ،
وهذا مفرد وأيضاً { مَّشِيدٍ } فاصلة آية . .

وقد عين بعض المفسرين هذه البئر . فعن ابن عباس أنها كانت لأهل عدن من اليمن وهي الرس
 . وعن كعب الأحبار أن القصر بناه عاد الثاني وهو منذر بن عاد بن إرم بن عاد . وعن
الضحاك وغيره : أن البئر بحضرموت من أرض الشحر ، والقصر مشرف على قلة جبل لا يرتقى ،
والبئر في سفحه لا يقر الريح شيئاً يسقط فيها . روي أن صالحاً عليه السلام نزل عليها مع
أربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم من العذاب . وهي بحضرموت ، وسميت بذلك لأن صالحاً
حين حضرها مات وثم بلدة عند البئر اسمها حاضورا بناها قوم صالح وأمروا عليهم جليس بن
جلاس ، وأقاموا بها زمناً ثم كفروا وعبدوا صنماً ، وأرسل إليهم حنظلة بن صفوان ، وقيل :
اسمه شريح بن صفوان نبياً فقتلوه في السوق فأهلكهم الله عن آخرهم وعطل بئرهم وخرب قصرهم
 . وعن الإمام أبي القاسم الأنصاري أنه قال : رأيت قبر صالح بالشام في بلدة يقال لها عكا
 فكيف يكون بحضرموت . .

{ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُوا لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ
أَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَا كُنْ تَعْمَى
الْقُلُوبُ السَّتَى فِي الصُّدُورِ * وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ
اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمَهُ عَنِ النَّاسِ يُرْى أَعْيُنُنَا وَمَنْ يَنْصُرُ النَّاسَ يَنْصُرْهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ *
وَكَأَيِّنْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ لِّنَفْسِهَا أَخَذَتْهَا
وَأَلَيْنَا لَهَا أَلَمًا مَّصِيرًا * قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولٌ لِّكُمْ نَذِيرٌ
مُّبَشِّرٌ * فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ

وَرَزَقُ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي دِيَارِنَا مُعَاجِرِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ . .

لما ذكر تعالى من كذب الرسل من الأمم الخالية وكان عند العرب أشياء من أحوالهم ينقلونها وهم عارفون ببلادهم وكثيراً ما يمرون على كثير منها قال { أَفَلَا مٌ يَسِيرُونَ } فاحتمل أن يكون حثاً على السفر ليشاهدوا مصارع الكفار فيعتبروا ، أو يكونوا قد سافروا وشاهدوا فلم يعتبروا فجعلوا كأن لم يسافروا ولم يروا . وقرأ مبشر بن عبيد : فيكون بالياء والجمهور بالتاء { فَتَذَكُّونَ } منصوب على جواب الاستفهام قاله ابن عطية ، وعلى جواب التقرير قاله الحوفي . وقيل : على جواب النفي ، ومذهب البصريين أن النصب بإضمار إن وينسبك منها ومن الفعل مصدر يعطف على مصدر متوهم ، ومذهب الكوفيين أنه منصوب على الصرف إذ معنى الكلام الخبر صرفوه عن الجزم على العطف على { يَسِيرُونَ } ، وردوه إلى أخي الجزم وهو النصب هذا معنى الصرف عندهم ، ومذهب الجرمي أن النصب بالفاء نفسها وإسناد العقل إلى القلب يدل على أنه محله ، ولا ينكر أن للدفاع بالقلب اتصالاً يقتضي فساد العقل إذا فسد الدماغ ومتعلق { يَعْزِلُونَ بِهِ } محذوف أي ما حل بالأمم السابقة حين كذبوا أنبياءهم و { يَعْزِلُونَ } ما يجب من التوحيد ، وكذلك مفعول { يَسْمَعُونَ } أي يسمعون أخبار تلك الأمم أو ما يجب سماعه من الوحي . والضمير في { فَلَا زَهَّاء } ضمير القصة وحسن التأنيث هنا ورجحه كون الضمير وليه فعل بعلامة التأنيث وهي التاء في { لَا تَعْمَى } ويجوز في الكلام التذكير وقرأ به عبد الله فإنه لا تعمى . وقال الزمخشري : ويجوز أن يكون ضميراً مبهماً يفسره { الْإِبْرَاهِيمِيُّ } وفي { تَعْمَى } راجع إليه انتهى . وما ذكره لا يجوز لأن الذي يفسره ما بعده محصور ، وليس هذا واحداً منها وهو في باب رب وفي باب نعم . وبئس ، وفي باب الأعمال ، وفي باب البدل ، وفي باب المتبداً والخبر على خلاف في هذه الأربعة على ما قرر ذلك في أبوابه . وهذه الخمسة يفسر الضمير فيها المفرد وفي ضمير